Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمالى، أو هـم الصفوة من العلماء والنقـاد، المتمرسين بفن الأساليب الـعربية، ولهم فطنة لماحة ونظر ثاقب فى استحسان الجيد، واستهجان الردىء. وهؤلاء يعول عليهم - الجـاحظ - فى قبول النص أو رفضـه، بل يجعل استحـسانهم لنص من النصوص أو استخفافهم به دليـلا - لا يقبل المناقشة - على منزلة النص وصاحبه؛ ولهذا ينصـح الأديب ألا يغتر بنتـاج فكره وثمرة قـريحته، وأن يتـرك الحكم على نتاجه لخبرة هؤلاء الصفوة وذوقهم، فيقول : «فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة، وتنسب إلى هذا الأدب، فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة، أو ألفت رسالة، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك، أو يدعوك عجبك بـثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه، ولكن اعـرضه على العلمـاء فى عـرض رسائل أو أشـعار أو خطب، فـإن رأيت الأسماع تصغى له، والعـيون تحدج إليه، ورأيت من يطلبه، ويستـحسنه فانتحله. فإن كان ذلك فى ابتـداء أمرك، وفى أول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مسـتحسنا، فلعله.. أن يحل عندهم محل المتـروك. فإذا عاودت أمثال ذلك مـرارا، فوجدت الأسماع عنه منصرفة، والقلوب لاهية، فخذ فى غير هذه الصناعة، واجعل رائدك الذى لا يكذب حرصهم عليه، أو زهدهم فيه»[1].

ويكاد يغلب على الظن أن مقالة الجاحظ تكون أكـثر ملاءمة للنص الخطابى منها للنص الشعـرى، وأن الجمع بينهما فى الخضـوع المطلق لذوق العلماء - وإن كانوا من الصفوه - أمر يدعو إلى التحـفظ؛ لأن طبيعة العلاقة بين النص الخطابى وجمهوره تخـتلف عن طبيعة العلاقـة بين النص الشعرى ومتلقيه. فـخبرة المتلقى وذوقه الجمالى فى الإحساس بعرائس النص، ومفاتنه من الأمور الهامة فى التفاعل مع النتاج الأدبى، وربما تمثل مرجعيـة فاصلة فى إصدار الأحكام، ولكن لا ينبغى أن نصل بها فى مواجهة النص الشعرى إلى مستوى الحاكمية الحادة فى تقرير مصير الشاعر وذلك لأسباب، ربما نبهنا إليها تراثنا النقدى فى نماذجه التطبيقية.

وقد يكون فى مقدمـة تلك الأسباب مذهبية العصـر أو التزام نقاده وعلمائه بمنهج فكرى معين، يحتكمون إليه فى كل نص، ويقـفون به عند الحدود المرسومة للفن الشعرى، وقصارى همهم أن يتفحصوا أوراق المارة، فيؤذن بالدخول إلى هذا

(١) البيان والتبيين ١ - ٢٠٣